التراث العمراني الكولونيالي بالقنيطرة : الهندسة الحضرية للمدينة ومعمار البنايات التاريخية

أ. سعيد البوزيدي•

تعتبر مدينة القنيطرة، التي حملت إسم "بور ليوطي"، نموذج المدينة الأوربية في المغرب خلال الفترة المعاصرة. إذ كان لتخطيط إقامة المدينة دوافع استراتيجية واقتصادية واجتماعية. وأبت سلطات الحماية الفرنسية إلا أن تجعل منها وصيف المدن الغربية بالمغرب إلى جانب المدن العتيقة. فخضعت إقامة مدينة القنيطرة إلى عدة تصاميم حضرية، تحت المراقبة المباشرة لسلطات الحماية الفرنسية. وكان من نتائج تطبيق سياسة التعمير بهذه المدينة أن تميزت بالطابع الغربي في مجال مغربي من خلال توزيع شوارعها وتنوع اشكال عمرانها وتباين هندسة بنايتها. ولا تزال مدينة القنيطرة تحتفظ ببعض من هذا التراث العمراني، وهو يسير نحو الاندثار، نتيجة الزحف العمراني الحديث.

تهدف هذه المداخلة إلى تقديم أرضية تاريخية عن التصاميم العمرانية التي عرفتها مدينة "بور ليوطي" خلال فترة الحماية، ثم الوقوف عند أهم المواقع التاريخية والأثرية التي تؤرخ لهذه الفترة، والتي تشهد على التواصل الحضاري بين الشمال والجنوب في المغرب، والتأثيرات المتبادلة بين الشرق والغرب خلال الفترة المعاصرة، حيث عرفت المدينة تطورا عمرانيا أصبح بمثابة السجل التاريخي للتراث العمراني الكولونيالي.

١- استغلال فرنسا للمعطيات التاريخية في اختيار موقع أقامة مدينة القنيطرة

تذهب الدراسات التاريخية لتطور هندسة أشكال وتخطيط المدن المغربية إلى اعتبار مدينة القنيطرة الحاضرة الأولى بالمغرب التي طبقت سلطات الحماية الفرنسية في بنائها وتوسعها نموذج التصميم "الأوربي المغربي"[١]. إذ تجسد في هندستها ازدواجية التصميم على مستوى الأحياء (حي أوربي/ حي الأهلي) وعلى مستوى شكل البنايات (العمارات /الفيلات و الدور البراريك)، مما خلق امتزاجا بين الساكنة الوافدة عليها من المغاربة والأوربيين[٢]. وأضحت مدينة القنيطرة قبلة الهجرات، خصوصا وأنها كانت مفتوحة أمام كل راغب في الاستقرار والاستثمار. تتوفر على مؤهلات

•جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب

١ أنظر، سكال عبد الصمد، السياسة العمرانية بالمغرب منذ ١٩١٢، ضمن، *أشغال ندوة العمران في الوطن العربي بين التخطيط والتشريع الإداري، أيام ١٠-١١-١٢ أبريل، ٢٠٠١*، منشوران المعهد الوطني للتهيئة والتعمير، الرباط، ٢٠٠٥، ص. ١٥٦-١٧٢.

٢ أنظر، شقرون محمد، التمدين والتنظيم السياسي قبل الحماية، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، نشر مطابع سلا، ١٩٩٥، ج. ٥. ص. ٢٥٨-٢٦٠

مُغرية انطلاقا من موقعها الجغرافي في وسط المغرب على الواجهة الأطلسية، ولا تبعد عن البحر إلا ب ١٧ كلم التي ترتبط به عبر نهر سبو، وهي الوحيدة التي تتوفر على ميناء نهري، وتحيط بها أجود الأراضي الفلاحية بمنطقة الغرب، وتحزمها غابة المعمورة[٣].

لم تكن هذه المعطيات غائبة عن إدارة الحماية الفرنسية بالمغرب في اختيارها لموقع القنيطرة، بل إنها عملت على استغلال كل هذه المؤهلات والخصوصيات من أجل إحداث مركز حضري عبر سياسة الازدواجية التي كانت تسلكها فرنسا في تطبيقها لمشروع الحماية على المغرب. فكان ميلاد المدينة اعتمادا على الإرث التاريخية للموقع انطلاقا من قنيطرة على أوعدي والقصبة من جهة، ومن جهة ثانية على قرار سلطات الحماية إحداث مدينة عصرية في أرض بكر موازاة مع إقامة ميناء نهري على واد سبو. وجاء نموها على واجهتين : مدينة أوربية مثلت المركز الاستثماري ومدينة الأهلية البروليتارية[٤].

وكانت القنيطرة، قبيل الاحتلال الفرنسي كمحطة تجارية رئيسية في الغرب وملتقى المسافرين على اختلاف مشاربهم، تناوب على حراستها فرسان قبائل عامر وجنود السلطان تحت قيادة عسكرية موحدة. وأحاطت بها خيام و"براكات " من خشب استقر فيها سكان الدواوير المجاورة لمزاولة صيد سمك الشابل والتبادل فضلا عن تربية الماشية. ويتفق الباحثون على أن إقامة "نزالة القنيطرة" في الغرب، داخل مجال

---

٣ حرص اليوطي على مراعاة نظام الازدواجية في إعداد تصميم مدينة القنيطرة. يقول Zumsteeg في هذا الصدد : « Le domaine où la responsabilité lyautéenne est avancée est relatif à la séparation des lieux d'habitation des indigènes et des allogènes. Les raisons de la séparation des deux l'hygiène, la valeur architecturale des villes villes tiennent compte de plusieurs données dont : indigènes, la différence des mœurs des populations appelées à se côtoyer et le respect des institutions religieuses et sociales du Maroc. Cette politique vise : à protéger le «bon renom scientifique et artistique» de la France, à augmenter le prestige des européens et à l'évolution future de l'espace bâti impose de prendre des précautions en vue de créer une infrastructure urbaine convenable. C'est peut être à Kenitra plus que partout ailleurs au Maroc que la séparation des deux villes a été la mieux réalisée sans rencontrer trop de difficultés, vu les conditions dans lesquelles a été installée la ville européenne et développée la ville indigène » Zumsteeg. A., *Kénitra : des origines à la ville de la deuxième guerre mondiale, Diplôme universitaire*, Bordeaux, 1969, p. 34, (trav. Dac)

٤ يقول محمد صوافي ما يلي : « Kenitra est en faite une ville «surgie des sables» et se développe autour du port. Son rayonnement tient à la variété de ses fonctions commerciale, portuaire, industrielle, militaire, administrative et culturelle. Son port, était celui du Nord marocain comme Safi était celui du Sud » SOUAFI Mohamed, *Kenitra : l'utilisation de l'espace urbain et son aménagement*, Diplôme Universitaire, en Géographie Urbaine, Université Paris I, 1976, p. 12. (trav. Dact)

قبيلة بني أحسن كان مع نهاية القرن الثامن عشر، في عهد السلطان مولاي سليمان (١٧٩٢-١٨٢٢)[٥].

كان لتطور الوضع العسكري بالمنطقة، أن قرر المخزن المركزي بناء قصبة القنيطرة بالقرب من النزالة لتتأسس أول نواة عسكرية حضرية بالمنطقة اتخذت من مصب واد الفوارات على واد سبوا موقعا لها. فقام السلطان مولاي عبد العزيز ببناء قصبة على الضفة اليسرى لنهر سبو استغرق زهاء ست سنوات من سنة ١٣١٢ / ١٨٩٥ إلى سنة ١٣١٨/ ١٩٠٠[٦]. حملت في الوثائق المخزنية أسماء مختلفة هي : قصبة قنيطرة علي أوعدي والقصبة الجديدة تمييزا لها عن قصبة المهدية المجاورة، كما نعتت بالمعمرة والعامرة والسعيدة، حددت وظيفتها في تأمين المسافرين والتجار. فقد أقام فيها تجار من مدينة فاس بصفة غير منتظمة، كما هو حال مشيش العلمي الذي أقام براكة قرب القصبة في المدينة العليا كانت تأويه مع مرافقيه أثناء رحلته التجارية من فاس إلى ميناء الرباط-سلا في الذهاب والإياب[٧]. كما ظهرت بجوار قصبة القنيطرة مجموعة من النوالات استقر بها السكان الذين توافدوا بكثرة[٨].

حلت بالقصبة بعد إتمام بنائها في حدود سنة ١٣١٨ ه /١٩٠٠ م، حامية عسكرية مكونة من مائتي جندي، وعين السلطان مولاي عبد العزيز عبد السلام التكاني قائدا عليها، ونزل بجوارها في مكان النزالة، قائد الرحا الأغا المعطي بن المدني السرغيني المكلف بحراسة القوافل عبر الطريق المخزني من سلا إلى مدن الشمال والشرق الذي تجاوز على ما يبدو سلطة قائد القصبة سنة ١٣٢٦ ه/ ١٩٠٨ م، إلى أن تم تعيينه من طرف السلطان مولاي عبد الحفيظ قائدا على القصبة[٩]، وبذلك تركز الوجود العسكري

---

٥ أنظر، Le Coz, J., La distribution territoriale des Beni Ahsen, *Hespéris*, Rabat, 3e-4e trim., 1958. pp. 294-297.

٦ تذهب بعض الدراسات الأجانب والمغاربة حول باني قصبة القنيطرة إلى اعتبرت القصبة من بناء السلطان الحسن الأول المتوفى في ٧ يونيو ١٨٩٤، وورد في مؤلف مدن وقبائل المغرب أن السلطان مولاي الحسن شرع في آخر عهده في البناء وأن خلفه السلطان مولاي عبد العزيز قد أتم عمله سنة ١٣١٣هـ. ويرى البعض الآخر أن انطلاق أشغال بناء القصبة بحفر الأساس كان في ١٩ من شهر ذي الحجة سنة ١٣١٢ /١٨٩٥ في بداية حكم مولاي عبد العزيز على يد الصدر الأعظم أحمد بن موسى وأن البناء استمر إلى غاية سنة ١٩٠٠.

٧ مصطفى مشيش العلمي، القنيطرة وميلاد المدينة والحركة الوطنية ١٩١٣-١٩٣٧، منشورات مؤسسة سيدي مشيش العلمينرقم ٦، ١٩٩٨ ص.٤٠-٤١

٨ أنظر، البوزيدي، سعيد، من بناصا إلى بور ليوطي : الميناء النهري على واد سبو، ندوة، *المدن المراسي في تاريخ المغرب، الأيام الوطنية الثامنة عشر للجمعية المغربية للبحث التاريخي*، كلية الآدب والعلوم الإنسانية، عين الشق، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، أيام ٢٧- ٢٨- ٢٩، أكتوبر، ٢٠١٠، (عمل مرقون)

٩ كان قائدا لقصبة القنيطرة سنة ١٣٢٩/١٩١١ قبل احتلالها من طرف الجيش الفرنسي.

داخل القصبة وبسط القائد المعطي السرغيني نفوذه على الدواوير المجاورة للقنطيرة، وأصبح مركز القنيطرة مستقلا عن الرباط من حيث التموين العسكري.

استأثر موقع القنيطرة النواة على الضفة اليسرى لنهر سبو باهتمام الفرنسيين منذ سنة ١٩١١ نتيجة تراكم الأبحاث والدراسات التي أكدت على أهميته في تموين الجيش الفرنسي بسهولة أثناء الإعداد لحملة فاس بقيادة الجنرال موانيي Moinier، وتجاوز استعمال شاطىء المهدية بسبب الرياح القوية في فصل الخريف وامتداد الأجراف التي كانت تعيق تفريغ السفن وتفادي خطورة استعمال الطريق البرية المحادية لغابة المعمورة واختصار المسافة، فنزلت القوات البرية بقيادة الجنرال موانيي ومحمد الأمراني بقصبة القنيطرة التي تجمع فيها وحولها أزيد من ستة ألف رجل فرنسي وسنغالي ومغربي ، ومنها وجه قائد الحملة خطابه الشهير إلى القبائل المغربية لتهدئتها[١٠].

خريطة رقم : 1 ظهور موقع القنيطرة على خريطة المسالك والطرق
المصدر :الموقع الالكتروني centenaire-de-kenitra.blogspot.com

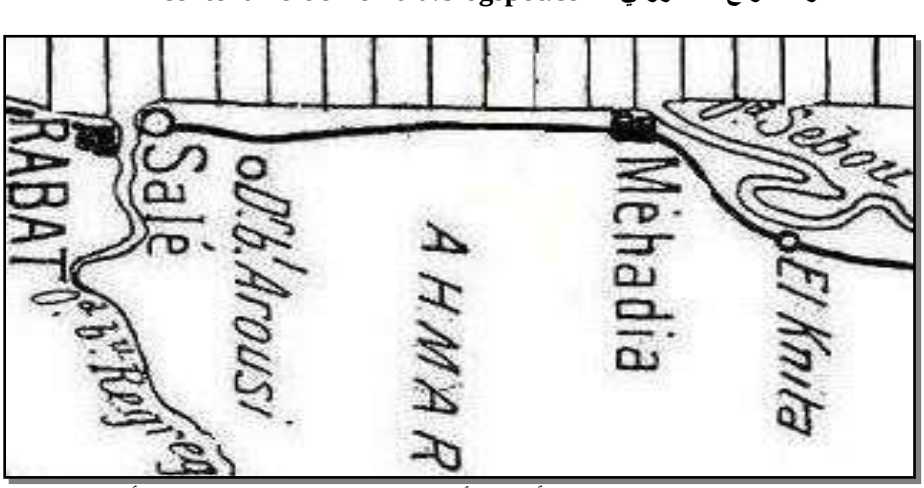

تفيد الوثائق الإدارية لمدينة القنيطرة أن نشأتها لم تكن محض صدفة أو نتيجة تجمعات سكانية بموقع يضمن الاستقرار والاستغلال، بل، انطلت من نوات حضرية، تم إحداثها في وسط طبيعي بكر، وتم التخطيط لها عبر مجموعة من الدراسات الميدانية وتوفير مجموعة من الرافعات التي تضمن لها التجدر والاستمرارية في وسط قروي بامتياز. واقترن اسم المدينة بمينائها تارة، وتارة أخرى براعيها الأول،

١٠ بوشتى بوعسرية، مقاومة قبائل سهل الغرب لحملة الجنرال موانيي ربيع ١٩١١، قبيلة بني أحسن نموذجا، ضمن *ندوة الحركة الوطنية والمقاومة في منطقة الغرب، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير*، ص. ١٢١

"اليوطي"، حتى أن صبغ عليها طابع المدينة الأوربية وهي في قلب المغرب. وكان من تداعيات هذه الروابط مع محيطها الاقتصادي أن ربطتها الدراسات التاريخية الحديثة بميناءها إلى حد أن البعض من الدراسات تنعتها بمدينة حي الميناء وأن البعض منها رهنها بتطور الميناء عبر "الميناء الذي أفرز المدينة" أو "تطور المدينة رهين بتطور الميناء"[١١].

اقترن وجود مركز مدينة القنيطرة بنشأة الميناء النهري مع تواجد الاستعمار الفرنسي بالمغرب، بعدما أن تم اختيار موقعه المتميز من طرف الأجهزة الاستعمارية لتثبيت أجهزتها وتوطيد دعائم مؤسساتها، حيث عمدت الإدارة المحلية على وضع تصميم تهيئة المدينة وتحويلها إلى نموذج حضري أوروبي يخدم مصالح المعمريين[١٢].

لقد عمدت السلطات الفرنسية إلى إدكاء تهافت الأوروبيين على اقتناء الأراضي الجيدة وعلى البناء، وفي ظل سنوات قليلة انتشر البناء بشكل لافت داخل مركز المدينة آنئذ، وتعددت الأحياء والشوارع، بذلك اتخذ توسع هدا المركز شكل صراع حول المجال من أجل خلق مصالح من طرف الأوروبيين أنفسهم ومن أجل الإثراء وتدعيم النظام الرأسمالي، وهذا ما جعل المضاربات العقارية تشكل المحرك الرئيسي لتوسع مركز مدينة القنيطرة في تلك المرحلة[١٣].

---

١١ أنظر، بوراس عبد القادر، الظروف التاريخية التي ساهمت في بروز وتطور مدينة القنيطرة، ضمن أعمال ندوة القنيطرة في أفق ٢٠٠٠، أيام، ١٩-٢٠-٢١ أكتوبر، ١٩٩٣، ص. ٥٦ -٧١. وانظر كذلك زروال، العربي، دور الميناء في تطور النشاط الصناعي بمدينة القنيطرة،أعمال الأيام الدراسية "القنيطرة في أفق سنة ٢٠٠٠"، ١٩، ٢٠ و ٢١ نونبر ١٩٩٣ المجموعة الحضرية لمدينة القنيطرة ؛ جامعة ابن طفيل. - ص. ١٢٥-١٣١

١٢ أنظر ، De Mazières, Nathalie, Héritage colonial en urbanisme et architecture, dans Sijelmassi Mohamed dir., *Civilisation marocaine*, Ed. Oum/ Actes Sud, Casablanca, pp.180-185.

١٣ أنظر، صبرو فهد و الصبحي طارق، *المركز والمركزية : مدينة القنيطرة، بحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافية*، ماستر علوم المجال، كلية الآداب والعلوم الانسانية، القنيطرة ٢٠٠٩، عمل (عمل مرقون)

خريطة رقم : ١٧ موقع القنيطرة على خط طرق المواصلات : نهر سبو والسكة الحديدية والطرق البرية.

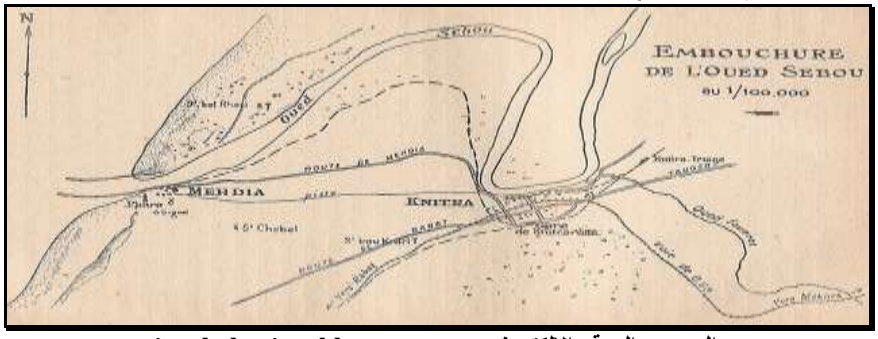

المصدر :الموقع الالكتروني centenaire-de-kenitra.blogspot.com

حظيت مدينة القنيطرة، ولا تزال تحظى باهتمام المهندسين المعماريين والطوبوغرافيين وغيرهم من المهتمين بدراسة وتنظيم المجالات الحضارية نظرا لخصوصياتها الفريدة ضمن المدن المغربية. فهي تمثل نموذج الحواضر المغربية العصرية التي تم التخطيط لها عبر مجموعة من الدراسات والتصاميم جعلت منها "المدينة الأوربية" بامتياز[١٤]. ولا يزال وسط مدينة القنيطرة يعرف ب الفيلاج " Le village" كرمز انطلاق الحاضرة من "قرية غربية"، لا عربية إسلامية، قبل أن تتسع وتشمل الأطراف والهوامش المجاورة. وكان نمو وتوسع المدينة يسير وفق مخطط مرسوم وهادف حسب تصميم مديري ترعاه السلطات الوصية التي تضمن له كل وسائل التطبيق والتنفيذ وفق أهداف مسطرة مسبقا. ولا تزال شوارع وأحياء مدينة القنيطرة تثير إعجاب الزوار من حيث سعة شوارعها الرئيسية واتجاهاتها التي تجعل منه ممر التيارات الهوائية البحرية، خصوصا في فصل الحر، وطبيعة أحياءها، سواء السكنية أو الوظيفية أو الصناعية، التي تتخذ نمطية بناياتها وأزقتها طابع الوظيفة التي تنتشر فيها.

٢ ـ التخطيطات الهندسية لإقامة وتوسيع مدينة القنيطرة

حدد مجال توسع مدينة القنيطرة في اجتماع عقد بداخل القصبة دام من ٢ إلى ٥ أكتوبر سنة ١٩١٢، ما بين نهر سبو شمالا ودوار الساكنية شرقا وأراضي الملك غربا، وبقي جنوب المدينة بلا حد[١٥]. وتم وضع تصميم للمدينة في اجتماع دجنبر من نفس السنة، وتقسيم أراضي المخزن إلى ثلاث تجزئات وهي : تجزئة عسكرية لإنشاء

١٤ أنظر، أوزين روبير، فن تخطيط المدن ترجمة بهيج شعبان، مراجعة زغيب هنري، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٧٤.

١٥ أنظر، القور عبد العالي، تطور أدوات التخطيط العمراني بالمغرب، ضمن أشغال ندوة "العمران في الوطن العربي بين التخطيط والتشريع الإداري، أيام ١٠-١١-١٢ أبريل، ٢٠٠١، منشوران المعهد الوطني للتهيئة والتعمير، الرباط، ٢٠٠٥، ص. ١٧٤-١٨٩

المؤسسات والمصالح العسكرية المختلفة، وتجزئة مخزنية عرفت باسم الحي الأوربي، تضم القصبة ومعظم المدينة الأوربية وأخيرا تجزئة أهلية لبناء حي يقطنه التجار والعمال من المغاربة شرق القصبة[١٦].

كان من نتائج هذه المشاريع العقارية أن أخذت تطفو على السطح مجموعة من القضايا تهم ملكية الأرض وأحقية استغلالها والاستثمار فيها. إذ قام مجموعة من الأوربيين برفع دعوى قضائية لتثبيت حقهم في ملكية الأراضي عن طريق اقتنائها من الجماعات السلالية[١٧]. فقام أمين الأملاك المخزنية بتقديم ببيان حقوق المخزن في مساحة تقدر بمائة وتسعين هكتارا تقع جنوب القصبة[١٨]. وأمام ضغط السلطات الفرنسية، اضطر المخزن إلى تعويض هؤلاء بأراضي فوتت لهم بثمن بخس قدره خمسون فرنكا للهكتار[١٩]. وتم الإتفاق على أن توفير الوعاء العقاري لتوسع مدينة القنيطرة على حساب الأراضي المخزنية يتم تحت إشراف أمين الأملاك المخزنية بترخيص خاص من السلطان.

وموازاة مع إنشاء محطة السكة الحديدية، وتوالي عمليات تجهيز الرصيف المؤقت لميناء القنيطرة عبر إقامة رافعة وعوامة مساعدة وجرافة. كما تم تنظيم عمليات نقل المئونة عبر واد سبو إلى مشرع بالقصيري. فكان من نتائج هذه المجهودات ونجاح عمليات إفراغ حمولة السفن وعمليات تموين المحطات العسكرية بمنطقة الغرب عبر واد سبو بالمئونة أن قرر الجنرال اليوطي في فاتح يناير ١٩١٣ فتح الميناء أمام العمليات التجارية في أفق توجه آخر لهذا المشروع[٢٠].

---

١٦ أنظر، صبرو فهد و الصبحي طارق، *المركز والمركزية : مدينة القنيطرة، بحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافية، ماستر علوم المجال*، كلية الآداب والعلوم الانسانية، القنيطرة ٢٠٠٩، عمل (مرقون)

١٧ الناوي، أحمد، آليات التوسع الحضري بمدينة القنيطرة : مشاكل التهيئة الحضرية بين الأمس واليوم وآفاق المستقبل في : *أعمال الأيام الدراسية "القنيطرة في أفق سنة ٢٠٠٠"*، ١٩، ٢٠ و ٢١ نونبر ١٩٩٣. - ص. ٤٥-٥٩.

١٨ مصطفى مشيش العلمي، القنيطرة ميلاد المدينة والحركة الوطنية ١٩١٣-١٩٣٧، منشورات مؤسسة سيدي مشيش العلمي١٩٩٨،٦،ص.١٩

١٩ عمراني محمد، من قنيطرة علي أوعدي إلى مدينة القنيطرة، ندوة تاريخ منطقة الغرب، كلية ألآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، ٢٠٠٢، *مجلة البحث التاريخي، منطقة الغرب : التاريخ والمجتمع*، ع. ٥ – ٦، ٢٠٠٧ – ٢٠٠٨، ص. ١٦٥ - ١٩٤.

٢٠ أنظر : « *Ainsi se trouvaient reconnus et consacrés les avantages exceptionnels que Kenitra doit à sa situation géographique et topographique : point de passage obligé de toute route ou voie ferrée reliant Casablanca à Tanger, débouché naturel de la plaine du Gharb et des Béni Hsen, des régions de Fès et Meknès, et de la riche vallée agricole du Haut Sebou*. » Coindreau, R.,*Op. cit., Le Port de Mehdia-Port-Lyautey,...* p. 282

وتفقد الجنرال المقيم العام جزءا من منخفض سبو، ولاحظ أن الملاحة النهرية على واد سبو ، خصوصا بين المهدية والقنيطرة، تتقدم بشكل إيجابي، وتحتاج إلى تحسين عبر أنجاز أشغال التي هي في طور الدراسة من قبل مصالح الأشغال العمومية. وتقوم شركة Omnium باستغلال النهر في نقل العتاد الحربي. كما اطلع الجنرال على تصاميم توسع مدينة القنيطرة وزار عدد من الضيعات الفلاحية التي أصبحت تنمو وتنتشر بالمنطقة، وتفقد ضيعة مهمة لزراسة الكروم. وعاد الجنرال المقيم العام إلى الرباط في ٢ أبريل ١٩١٣ مساءا[٢١].

٢١ جاء في مقال منشور بالجريدة الرسمية ضمن أخبار متفرقة تقرير عن الزيارة التي قم بها المقيم العام الفرنسي بالمغرب الجنرال اليوطي جاء فيها ما يلي : « Le Résident Général, accompagné de M. TIRARD, Secrétaire Général du Protectorat, et du Colonel PELLE, Chef d'État-major, à fait, les 1er et 2 Avril, une rapide tournée d'inspection dans le Gharb ; il a examiné l'état d'avancement des travaux de construction du chemin de fer militaire, Kénitra – Meknès. Il a utilisé la voie déjà construite pour se rendre à 3& Kilomètre de Kénitra à Sidi-Yahia, d'où la ligne se prolonge, complètement terminée, sur 27 Kilomètre, et d'où elle atteindra Dar Bel Hamri, à 67 kilomètres de Kénitra, vers le 10 Avril. Les travaux sont en outre activement entre Dar Bel Hamri et Meknès et, d'autre part, le raccordement entre Kénitra et Salé-Rabat, seront commencés dans huit jours, pour relier cette voie à la ligne Casablanca-Rabat. Il se terminer dans trois mois. Le Résident Général à félicité la Société du Consortium et les services du Génie des résultats obtenu ; la voie se présente dans d'excellentes conditions de solidité et de tenue et elle assurera incessamment, d'une manière rapide et sure, le ravitaillement de Meknès et Fes, évitant les inconvénients de l'ancienne ligne d'étapes.

Le Résident Général a visité une partie de la vallée du Sebou et a constaté que la navigation du fleuve, notamment entre Mehdiya et Kénitra, se présente dans des conditions favorables qui seront améliorées encore par les travaux qui sont actuellement mis à l'étude par le Service des Travaux Publics. La Compagnie de l'Omnium utilise déjà le fleuve pour les transports de la Guerre. Il a également examiné les plans de la ville de Kénitra et il a visité plusieurs exploitations agricoles florissantes et, en particulier, une très intéressante plantation de vigne. Le Résident Général est rentré à Rabat le 2 Avril au Soir. » *Bulletin Officielle*, n. 23 – 24 du 11 Avril, 1913

خريطة رقم : ٣، التصميم الحضاري لمدينة القنيطرة وعليه توقيع اليوطي

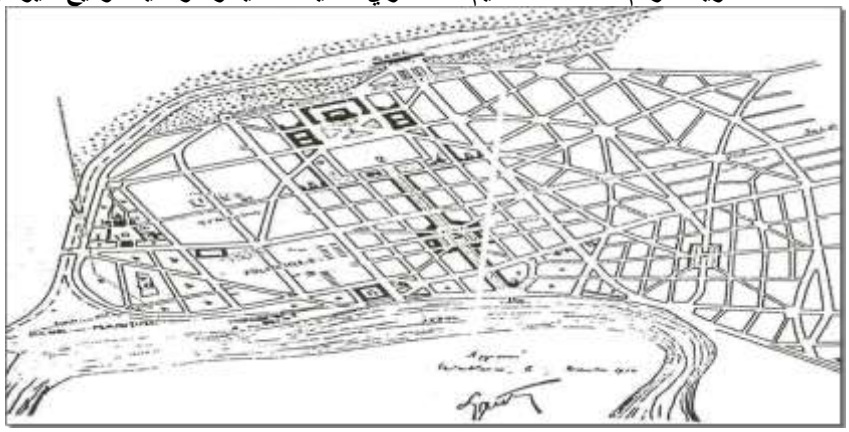

المصدر : Belarabi, M., *Kénitra du Rharb*

ففي ٤ أبريل ١٩١٣ نقلت الإقامة العامة مكتب استعلامات بني أحسن من المهدية إلى القنيطرة، وتم خلق مكتب المراقبة المدنية الغرب بني أحسن في ٢٧ يونيو وتأسيس مركز إداري لتدبير شؤوؤن المنطقة من داخل القصبة نفسها. وتجدر الإشارة إلى أن الجهاز الإداري المخزني لعب دورا رئيسيا في تسيير القصبة ومحيطها قبل بناء المدينة، ويتألف من القائد المعطي بن المدني ومن القاضي بوسلهام الرزوكي ومن شيوخ الأحياء والمقدمين والمخازنية والحراس .

تحول موقع القنيطرة إلى مركز عسكري وإداري وتجاري استعماري، شرع في ربطه بمدينة الرباط – سلا وجهة مكناس – فاس بخط للسكة الحديدية. وفرض نمو نشاط الميناء وتدفق المهاجرين على القنيطرة تغييرا في أسلوب التسيير الإداري، حيث تم إعفاء المراقب المدني من هذه المهمة في شهر مايو ١٩١٤، وحل محله رئيس المصالح البلدية[٢٢]. وتشكلت في ٢٣ دجنبر لجنة بلدية مختلطة، تألفت من خمسة أعضاء، حددت مهامها الأساسية في استكمال تهيئ المجال الحضري اعتمادا على ميزانية خاصة مستقلة عن المراقبة المدنية.

تكشف تقارير المهندسين والدراسات الجغرافية لموقع المدينة أن اختيار الإقامة العامة الفرنسية لموقع المدينة ارتكز على قناعات ومؤهلات حسمت في اتخاذ قرار إقامة مدينة القنيطرة. ارتكز هذا الاختيار على ضرورة توفير مركز، بمنطقة الغرب، يضطلع بدور عسكري واقتصادية يضمن للحماية الفرنسية التموين التمويل. فقد قدم المهندسون موقع المدينة على ضفاف واد سبو بالقرب من المصب كأحد العوامل في تزكية قرار إحداث المدينة، خصوصا وأن قصبة القنيطرة لعبت دور محطة عسكرية

٢٢ الفاسي عبد الإله، ظروف تأسيس أول لجنة بلدية بالقنيطرة، المجلة المغربية للبحث التاريخي، عدد ٥-٦، ٢٠٠٦-٢٠٠٨، ص. ١٢٣-١٤٢.

للقوات الفرنسية الزاحفة نحو فاس سنة ١٩١١. أما الجوانب الاقتصادية فتكمن في كون اتجاه خلق مدن على أنهار ملاحية كانت في شكل مستمر مع مطلع القرن العشرين نظرا لاستغلال الأنهار في النقل وغير ذلك، وحيث إن الموقع يعطي هذه الفرصة فإن إدارة الحماية الفرنسية وجدت الفرصة مواتية لتطبيق هذه النظرية في القنيطرة

غير أن اختيار موقع مدينة القنيطرة، واجهته بعض الاعتراضات من قبل المهندسين الجيولوجيين الذين رفعوا إلى الإقامة العامة الفرنسية تقارير تثير الانتباه إلى مجموعة من المعيقات التي تحد من استغلال المجال. فقد أشارت التقارير إلى أن اختيار إقامة المدينة هو نقطة إلتقاء مجموعة من التكوينات الجيولوجية، تغطيها فرشة عميقة من الرمال المتحركة، مما يعوق البناء، ويتطلب نفقات وتجهيزات إعداد البنية التحتية. وداخل هذه التكوينات الرباعية ينقسم مجال إقامة المدينة إلى : أراضي منخفض الفوارات، حيث الارتفاعات لا تتجاوز ١٠ م فوق سطح البحر، وتتكون من فرشة مائية، غير عميقة، مما يودي إلى انتشار المرجات التي تعوق توسع المدينة. وتوجد في اتجاه الغرب أراضي يتراوح ارتفاعها ما بين ٢٠ و ٣٠ م فوق سطح البحر. تعتبر هذه الجهة أحسن المناطق في موقع مدينة القنيطرة لما يتوفر عليه من مؤهلات طبيعية تساعد على إقامة الأحياء السكنية. كان لهذه الدراسات تأثير على التصاميم المديرية لمدينة القنيطرة، حيث تمت مراعاة هذه المعيقات الطبيعية في كل عمليات التوسع المجالي الذي عرفته مدينة القنيطرة منذ الصميم المديري الأول[٢٣].

يتبين أن إقامة مدينة القنيطرة، كان أولا وقبل كل شيء استجابة لحاجة إستراتيجية عسكرية، وهذا ما يفسر ضم المؤسسة العسكرية الفرنسية لأحسن المناطق بالقنيطرة، وانتشار الثكنات العسكرية المختلفة بها. كما أن خلق قطب اقتصادي بالمنطقة، كان من الأهداف التي ارتكز عليها مشروع تطبيق الحماية الفرنسية بالمغرب. ويبقى السؤال هو : هل الميناء هو الذي أدى إلى إحداث المدينة أو أن مشروع الحاضرة اقتضى إحداث الميناء كإحدى المؤسسات الاقتصادية بالمنطقة.

٣ - مراحل توسع مدينة "بور ليوطي" وفق المخططات الهندسية الحضرية

توسعت المساحة المخصصة لمركز المدينة، وهذا التوسع هو إرادي فرضته الحاجة إلى وجود مركز أعمال يشكل قاطرة التنمية بالنسبة للمدينة و مجالا لتركز الرأسمال. فقد تكون مدة نصف قرن كافية لكي يتم هذا التوسع بسرعة كبيرة غيرت

٢٣ حول الدراسات الجيولوجية والجغرافية والتقارير التي أنجزتها إدارة الحماية الفرنسية بشأن اختيار موقع مدينة القنيطرة، أنظر . Souafi Mohamed, *Kenitra : l'utilisation de l'espace urbain et son aménagement*, Diplôme Universitaire, en Géographie Urbaine, Université Paris I, 1976, p. 12 - 18. (trav. Dact

إلى حد كبير معالم المجال القنيطري، ويمكن الوقوف على أبعاد هذه التحولات المجالية من خلال المراحل التالية لتوسع مركز مدينة القنيطرة و المنطقة المركزية الخبازات[٢٤].

أ - مرحلة ١٩١٢-١٩١٧: الميناء الذي أفرز المدينة

اقترن وجود مدينة القنيطرة بنشأة الميناء النهري مع تواجد الاستعمار الفرنسي بالمغرب، بعدما أن تم اختيار موقعه المتميز من طرف الأجهزة الاستعمارية لتثبيت أجهزتها و توطيد دعائم مؤسساتها، حيث عمدت الإدارة المحلية على وضع تصميم تهيئة المدينة و تحويلها إلى نموذج حضري أوروبي يخدم مصالح المعمريين، و يستثني من ذلك المغاربة الذين لم يسمح لهم بتجاوز الحواجز الأمنية و العسكرية التي تقسم المدينة إلى شطرين.

لقد عمدت السلطات الفرنسية إلى إذكاء تهافت الأوروبيين على اقتناء الأراضي الجيدة وعلى البناء، و في ظل سنوات قليلة انتشر البناء بشكل لافت داخل مركز المدينة آنئذ، و تعددت الأحياء و الشوارع، بذلك اتخذ توسع هذا المركز شكل صراع حول المجال من أجل خلق مصالح من طرف الأوروبيين أنفسهم و من أجل الإثراء و تدعيم النظام الرأسمالي، وهذا ما جعل المضاربات العقارية تشكل المحرك الرئيسي لتوسع مركز مدينة القنيطرة في تلك المرحلة.

رغم ذلك، لم يمنع هذا من أن يكون للأنشطة الاقتصادية تأثير على التوسع (دور الميناء النهري)، فالتوسع الاقتصادي الذي شهده المركز خلال هذه المرحلة قد فرض تشكل أحياء تجارية فضلا عن دوره في جلب السكان، و هنا تشكلت جل الأحياء المشكلة للمركز، و هذه الأحياء تجمع بين التجارة و الخدمات المرتبطة بالميناء و حتى بعض الأنشطة الصناعية[٢٥].

ب. مرحلة ١٩١٨-١٩٣١: تصميم المركز الحضري للمدينة

وصل عدد سكان مدينة القنيطرة سنة ١٩٣٩ حوالي ١٦٠٠٠ نسمة، نسبة كبيرة منهم من الأوروبيين، هذه الأخيرة حاولت منذ نهاية الحرب العالمية الأولى البحث عن مجالات قريبة من مركز المدينة للاتساع فيها، من أجل اكتساب المركز الأوروبي لمدينة القنيطرة لمعظم ملامح المراكز العالمية في البلدان المتقدمة اقتصاديا. فقد شكلت هذه العمليات فرصة لإخضاع توسع المركز الأوروبي لنفس الضوابط التي تتحكم في

---

٢٤ أنظر، الناوي، أحمد، آليات التوسع الحضري بمدينة القنيطرة : مشاكل التهيئة الحضرية بين الأمس واليوم وآفاق المستقبل في : *أعمال الأيام الدراسية "القنيطرة في أفق سنة ٢٠٠٠"*، ١٩، ٢٠ و ٢١ نونبر ١٩٩٣. - ص. ٤٥-٥٩

٢٥ أنظر، Abouhani, A., La planification urbaine au Maroc : rigueur normative et espace urbain fragmenté. in : Intégration à la ville et espaces urbains au Maroc, Rabat/Paris : Inau/Ird, 2005.- pp. 145-159

توسع الأحياء الأوروبية. هكذا يكون الصراع حول المجال في مركز المدينة خلال هذه المرحلة قد حسم لفائدة الرأسمال الذي أصبح يتحكم في توسعه، و جاء هذا التوسع مطابقا و متزامنا مع توسع اقتصادي كبير فرضه الدور المهم الذي كان يلعبه الميناء في حركة الملاحة و التجارة بين القنيطرة و باقي المدن المغربية، و بين المغرب و المدن الأوروبية التي كانت تعتمد على المنتوجات المغربية بصفة عامة. و لقد كان للميناء دور مهم في تنشيط الحياة الاقتصادية داخل مركز المدينة و داخل مدينة القنيطرة ككل، نتج عن هذا استقطاب ساكنة مهمة من مختلف المدن المغربية.

خريطة رقم : ٤ن التصميم العام لمدينة القنيطرة انطلاقا من الميناءسنة ١٩٢٠

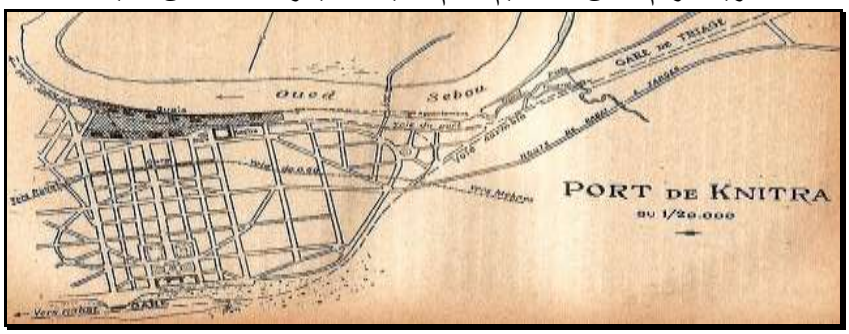

إن هذا النمو الاقتصادي هو الذي ساعد التوسع العمراني خلال هذه المرحلة، بحيث ارتأت سلطات الحماية تنظيم تجمع سكاني وفق منطقها الاستعماري، الهادف في المقام الأول إلى خدمة مصالحها الاقتصادية وسط سيطرتها العسكرية، إذ استحودت على أراضي جديدة جنوب القصبة ووضعت فيها القواعد الأولى لتصميم المدينة الذي يتحدد في أربع نطاقات[٢٦]:

- الميناء في الشمال مكون من ١٣ هكتار على ضفاف واد سبو؛
- المنطقة العسكرية بالجنوب الشرقي من القصبة، مخصصة لتشييد الوحدات والثكنات العسكرية في مساحة تقدر ب٥٠ هكتار؛
- الحي الإداري في وسط التجمع ثم إنشائه على مساحة ١٠٠ هكتار؛
- المدينة العليا بغرب المنطقة مخصصة لسكن الملاكين الأوروبيين تقدر مساحتها الإجمالية ب ١٠٩ هكتار.

ج. مرحلة ١٩٤٠ـ١٩٥٥: حاضرة بور ليوطي المغربية

عرف مركز مدينة القنيطرة خلال و بعد الحرب العالمية الثانية تفككا كبيرا لأجزائه من جراء الامتداد الواسع الذي شهده، و إن كان الكثير يربط هذا الامتداد

٢٦ NEPSOLA, Historique et analyse du développement de l'agglomération et du port, et ses incidences sur l'évolution de l'économie de Gharb, Extrait du Bulletin économique et social du Maroc, No. 85, 1er Trimestre 1960. H., Kénitra,

بتصاعد الهجرة في هذه المرحلة فذلك لكون إنتاج السكن أصبح يحتل الصدارة داخل نشاط البناء، و بالتالي تزايد حجم الاستثمارات المشتغلة في هذا الميدان الذي اكسبته صبغة اقتصادية كبيرة خاصة بعد سيطرة الرأسمال على نشاط البناء، و إن كان لهذا العامل الاقتصادي دور كبير في توسع مركز المدينة الذي زاد من استفحال أزمة السكن و التعمير بهذا المجال المركزي.

٤ - المنشآت العمرانية الكولونيالية بمدينة القنيطرة

عرفت مدينة القنيطرة شأنها في ذلك شأن المدن المغربية الأخرى الواقعة تحت سلطة الحماية الفرنسية تصميما هيكليا، تم فيه تغليب الجانب الأمني لضمان استقرار المعمرين وتوفير المناخ المناسب للإستغلال. وشكل الميناء النواة الأولى لقيام مركز المدينة و المدينة ككل، و منذ سنة ١٩١٣ تمت الموافقة على إقامة تجزئة خاصة بالأوروبيين، سنتان قبل الموافقة على التجزئة المخصصة للمغاربة ١٩١٥. مما يدل أن السلطات الفرنسية كانت تعطي الأسبقية لإسكان و استقرار الساكنة الأوروبية[٢٧]. لقد كانت مساحة التجزئة المخصصة للأوروبيين حوالي ١٠٩ هكتارات أي أكثر من ضعفي مساحة التجزئة المخصصة للمغاربة (٤٦ هكتارات) ، و قد بادرت السلطات الاستعمارية إلى إحداث مجموعة من التجهيزات المهيكلة التي ستساهم فيما بعد بدعم قيام المركزية[٢٨] .

خريطة رقم : ٥، أنواع البنايات بمدينة القنيطرة سنة ١٩٢٣

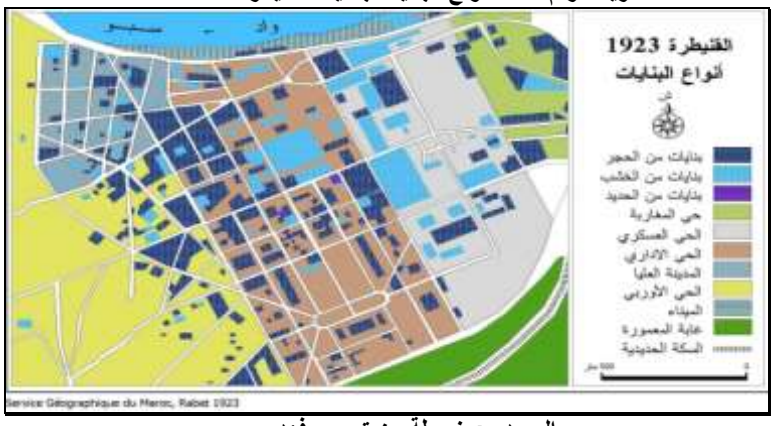

المصدر : خريطة من تصميم فهد صبرو

27 NEPSOLA, H., Kénitra, Historique et analyse du développement de l'agglomération et du port, et ses incidences sur l'évolution de l'économie de Gharb, Extrait du Bulletin économique et social du Maroc, No. 85, 1er Trimestre 1960.

28 أنظر، Benzakour Saaid, Essai sur la politique urbaine au Maroc, 1912-1975, éd. Maghrébine, Casablanca, 1978, p. 23-39.

يعطي التتبع التاريخي لمراحل إقامة أهم المشاريع العمرانية بالقنيطرة أمكانية الوقوف على مدى حرص سلطات الحماية الفرنسية على تطبيق كل الأشكال الهندسية حسب وظيفة البناية الأساسية. وتبقى الواجهة مجال اجتهاد المهندسين المعماريين في تمرير الخطابات الحضرية من خلال ابراز المعالم الحضارية الأوربية.

فكان أول ما اهتم به المقيم العام الفرنسي هو توطين القوات الفرنسية مما تطلب توفير عدد من البنايات ذات الطابع العسكري نتج عنها تهيئة حي سكني عسكري بالقرب من الثكنة. وقد شكلت هذه البنايات منطلقا نحو المركز الحضري.ومن أجل تعزيز تمركزها بالمنطقة عمدت سلطات الحماية الفرنسية إلى إحداث منشآت عمومية. فتم سنة ١٩١٨، إحداث مركز صحي مدني وعسكري يتكون من سبعة أجنحة تتوسطه حديثة كمتنفس للنزلاء وفي ١٩٢٢ تم إنشاء مستشفا الأهالي شرق المنطقة العسكرية ويضم ستة أجنحة، وفي ١٩٢٤ تم أنشاء المستشفى الأول على مساحة ٢٠,٠٠٠م^{٢} بجانب غابة المعمورة.

خريطة رقم :٦، التصميم العمراني لمدينة بور ليوطي إلى غاية ١٩٦٠

المصدر : خريطة من تصميم فهد صبرو

كما شرعت سلطات الحماية في زرع المؤسسات الإدارية داخل المجال الحضري، إذ عملت على إقامة القصر البلدي في مركز المدينة، لفرض نوع من شخصية الدولة المسيطرة ولتقريب الخدمات من المواطنين. تميز بناء هذه المنشأة بعلو سقفها وكثرة نوافذها الزجاجية وكبر حجمها، وهي ذات شكل طولي وبهو يفصل بين طابقين ويؤدي إلى أجنحة تتكون من مكاتب . يعطي الشكل الهندسي لهذه البناية طابعها الإداري الغربي، القائم على جمع المصالح الإدارية لتيسير المهام وتوفير الخدمات.

كما تم أنشاء بناية "غرفة التجارة والصناعة" بالقرب من القصر البلدي بموجب قرار المقيم العام في ١٥ يناير ١٩٢١. وقد تم بناء البناية استجابة لرغبة مؤسسة "غرفة التجارة والصناعة" التي كان لها دور هام في استغلال الميناء وتطوير المدينة. وجاءت هذه البناية على شكل بناية إدارية تضم قاعة للمحاضرات واللقاءات ومكاتب

تسيير وتتبع المؤسسات التجارية والصناعية بالمنطقة. و لا تزال، لحد الآن، تشغل هذه البناية نفس الوظيفة.

ومن أجل توفير الخدمات الأساسية وتسهيل تمركز الساكنة في المدينة تم تشييد بناية البريد سنة ١٩٢٠ من جناحين : الأول مفتوح للإسقبال والخدماتن وهو على شكل بهو مفتوح من الأعلى، والثاني خاص بالإدارة. وما يثير الانتباه في هذه البناية هو الساعة الجانيية على الواجهة، والتي كانت ترمز إلى حرص أداء الخدمة في وقتها المحدد. ومقابل بناية البريد تم بناء بنك الدولة (الخزانة الجهوية)، سنة ١٩٢٠، التي جاءت واجهتها على الشكل "الموريسكي العربي" بالنظر إلى الأعمدة وكذا الأقواس التي تطل بها على الشارع. وهي الأخرى كانت تتكون من شطرين : يتكون الأول من بهو الإسقبال والمعاملات، والثاني عبارة عن مكاتب إدارية لا تزال البعض منها تؤدي نفس الدور لحساب بلدية القنيطرة.

وبعد تأمين مرافق الحياة الإدارية للمدينة سارعت الإدارة الفرنسية في توفير مجموعة من البنايات للخدمات العمومية. فتم تشييد البنايات الدينية، خصوصا المسيحية على مدى الأهمية التي أولتها فرنسا للمعمار الديني بالقنيطرة. إذ صدر في ١١ فبراير ١٩١٩ قرار بترخيص بناء أول كنيسة بالقنيطرة بشارج La Maosqué (محمد عبدو)، وشرع في البناء في ١٥٦ غشت ١٩١٩ لتنتهي الأشغال سنة ١٩٢٠. عرفت هذه البناية توسعات مع تزايد المسيحين بالمدينة، وتمت تجهيزها بثلاثة أجراس كبيرة، أقيمت على أعمدة محدودبة. تميزت هذه البناية، بنوافذها العالية قرب السقف، وبزجاجها الأخضر والأحمر، مما أعطى لهذه البناية طابعا هندسيا دينيا مسيحيا في كل أبعاده. وفي سنة ١٩٣٤ ستشهد مدينة بور ليوطي، بناء أكبر كنيسة بالمدينة، وهي كنيسة ميرابو Mirabou، والتي ظلت شاهدة على التعمير الفرنسي لعقود بعد الاستقلال إلى تحولت الآن إلى بناية لبنك المغرب. وكانت هذه البناية من تصميم المهندس Larfoud وبناء المقاول Aesno والذي كان يتولى مهام بمكتب إدارة الأشغال العمومية. وقد بادرت الكنيسة في استقبال الشعائر الدينية سنة ١٩٣٥. تعتبر هذه البناية نموذج الهندسة الأوربية العصرية في بناء الكنائس ذات اللون الأبيض الناصع والمساحات الواسعة والمنارة البارزة يعلوها الصليب، والسقف المخروط مع زخارف على شكل نقوش هندسية الشكل تغطي جنبات المنارة. وتتميز نوافذها، هي الأخرى، بتعددها وعلوها تضمن التهوية ودخول أشعة الشمس[٢٩].

٢٩ حول نمطية البنايات الكولونيالية الرسمية بالمغرب أنظر : Prost, Henry, Le développement de l'urbanisme dans le protectorat de Maroc de 1914 à 1923, in, L'urbanisme aux colonies dans les pays tropicaux, T, I, Imp. Fortin Nevers, Paris, 1932, p. 356-365

وفي إطار سياسة تشجيع الحركة التجارية بالقنيطرة، تم إنشاء مجموعة من المنشآت السياحية والمتمثلة في الفنادق كفندف "إليكري" بشارع Dolamarl (شارع الحسن الثاني). أشرف علي بناءه المهندس كاستيل Castille يغلب عليه الطابع الموريسكي، شأنه في ذلك شأن مجموعة من البنايات التي عرفتها المدينة، مثل فندق أوربا الذي يجسد المظهر الحضاري للمدينة إلى جانب فندق لاروطوند وكذا فندق المعمورة.

وعرفت القنيطرة بناء مجموعة من دور السينما والفرجة. وكان أول ما تم بناءه مسرح المدينة الذي أنشأ سنة ١٩٢٢، من طرف الأخوين Marnay على شارع Rue Public (للآ عائشة) قبل أن يتحول فيما بعد الى سينما "طانقرا" على مساحة كبيرة. ذات طابقين. وكانت من بين أرقى دور العرض بالمدينة، وفي ١٩٢٥ شهدت القنيطرة بناء سينما "بلاص" التي لا تزال بنايتها تمثل نمط الهندسة الكولونيالية بالقنيطرة بالنظر إلى مكوناتها التي كانت تستوعب لكل أشكال التجمعات وتقديم أشكالا من الفرجة سواء في المسرح أو السينما أو البرامج الثقافية والترفيهية. واحتضنت القنيطرة قاعة أخرى للسينما، وهي فانطازيو التي جاءت هندستها الداخلية على شكل مسرح من طابقين، وشرفة خاصة بالشخصيات، وهي الأخرى شكلت نموجا آخر لنشر قيم الحضارة الأوربية عبر نمطية الهندسة العمرانية الحديثة والخدمات ذات الصبغة الدعائية.

وظهرت بالمدينة، بنايات أوربية بامتياز، على شكل عمارات من أربعة طوابق، وجاءت هذه البنايات كاستمرارية لما كانت تعرف المدن الغربية من انفجار لهذا الشكل البنايات المخصصة للسكنى. ولا تزل مجموعة من العمارة ذات الطابع الكولونيالي بأهم شوارع القنيطرة مثل Propriété Castellano على الشارع الرئيسي للمدينة أو بناية immobilière Albert المجاورة للبريد والتي تقابل بناية القصر البلدي وبناية غرفة التجارة والصناعة. وظهر بنايات خاصة ببعض الشركات مثل Bâtiment de la Régie التي كانت مخصصة لموظفي شركة التبغ.

وعرفت القنيطرة بانتشار واسع ايضا لشكل أخر من البنايات الكولونيالية وهي "الفيلا". تتعتبر هذه البناية، أصلا، بناية القروية وتنتشر في ضواحي المدن بأشكال هندسية تجمع بين الطابع الحضري والقروي. وتنتشر هذه البنايات بالقنيطرة، على الخصوص بحي المعمورة أو الحي الأوربي. فإلى حدود الثمانيات من القرن الماضي كانت "فيلات" القنيطرة محج زائري المدينة خلال عطلة نهاية الأسبوع من مدن الدار البيضاء والرباط وفاس قصد التجول في شوارعها الفسيحة والتمتع برونق بناية "فيلاتها". إذ كانت هذه البنايات ذات طابع هندسي يثير الانتباه لما تختزله من أشكال هندسية وأشكال مختلفة من الزخرفة المعمارية، حتى أنها كانت تعتبر سجلا تاريخيا

لفترة سيطرة فرنسا على المغرب واستقرار المعمرين بالقنيطرة[٣٠]. وتكشف الدراسات التاريخية لهذه الفيلات أنها بنايتها كانت تعكس أصل المعمر من الوطن الأم ومستوى عيشه، بل أحيانا حتى ديانته.

وما يثير الانتباه هو أن أغلبية بنايات الفيلات كانت على النمط الأوربي، وتتميز بالسقف المغطى بالقرمود، مما يعطي للبناية طابع الهوية. وغالبا ما تحمل واجهة "الفيلا" مجموعة من الرموز والإيحاءات الهندسية التي تفيد أن إقامتها وتشييدها كان وفق مخطط معماري يتخذ من العمران مطية لتمرير خطاب حضاري غربي بالمغرب.

إن ما يميز البنايات الأوربية هو أقامة ساعات حائطية ضخمة على المنشآت العمرانية، إذ كانت بناية البريد على واجهة سارع محمد الخامس، وواجهة محطة القطار كل منهما ساعة كبيرة. وكانت وسط مدينة القنيطرة معروفة بالمكانة نظرا لوجود ساعة عمودية على نقطة القاء المؤدية من فاس إلى الرباط والشارع المؤدي من محطة القطار إلى واد سبو[٣١]. وقد ظلت هذه الساعة معلمة تاريخية إلى حدود الثمانيات من القرن الماضي. كما تمت أقامة ساعة أخرى فوق برج ذي طابع فني مغربي أندلسي، على علو ٢٠ م.

الخاتمة

يتبين أن التوسع الحضاري والهندسة المعمارية الكولونيالية طبعت تهيئة المجال الحضاري لمدينة "بور ليوطي". فقد حرست سلطات الحماية الفرنسية، على إضفاء الطابع الأوربي على تقسيم المدينة وعلى شرعها وبناياتها، حتى أصبحت "نمذج" المدينة الأوربية بالمغرب خلال فترة الحماية الفرنسية. ولا تزال المدينة تحتفظ بمجموعة من البنايات التي تشهد على حرص سلطات الحماية الفرنسية على تمرير خطابها الحضاري عبر النمط الأوربي لبنايات مدينة القنيطرة سواء أكانت إدارية أو عمومية أو خاصة.

---

٣٠ أنظر، Béguin, François, Arabisances : décor architectural et tracé urbain en Afrique du Nord, 185-1950, Paris, éd. Dunod, 1983

٣١ أنظر مشيش العلمي مصطفى، الساعة الحائطية بالقنيطرة، البوكيلي للطباعة والنشر، القنيطرة، ٢٠٠٤